

مبحث

الشعائر الحسينية

- الشعيرة الأولى: الحزن
- الشعيرة الثانية: البكاء
- الشعيرة الثالثة: المجالس
- الشعيرة الرابعة: إنشاد الشعر
- الشعيرة الخامسة: الزيارة
- الشعيرة الأخيرة: شعائر الجزع

الشعائر في اللغة والدين

نحن بحاجة ماسّة إلى فقه المصطلحات القرآنية، خصوصاً إذا استخدمنا بعضها في مقاصدنا العلميّة، فيتحتّم علينا التّحقيق في منشأها وأصلها اللغوي والتّشّبت من إمكان حملها في الوجه المقصود، فربّ مصطلح دارج في جهة لا علاقة له بها بحسب الواقع، والعكس صحيحٌ أحياناً، ومن تلك المصطلحات التي ينبغي الوقوف عليها وبيان المناسبة فيها: "الشّعائر الحسينيّة".

يقول الجوهري في الصّحاح: الشعائر أعمال الحج، وكل ما جعل علماً لطاعة الله تعالى، وقال الأصمعي: الواحدة شعيرة.

وفي القاموس المحيط: شعائره معالِمه التي ندب الله إليها وأمر بالقيام بها. وقال الطّريحي رحمه الله في مجمع البحرين: "قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي جعلناها لكم وجعلناها من شعائر الله لكم، فيها خير: أي ما من ظهرها وبطنها، وإنما قدر ذلك لأنّه في المعنى تعليل لكون نحرها من شعائر الله، بمعنى أن نحرها مع كونها كثير النفع والخير وشدة محبة الإنسان من مال من أدل الدلائل على قوة الدّين وشدة تعظيم أمر الله، قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي هما من أعلام مناسكه وامتعباته، قوله: ﴿لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾.

قال الشيخ أبو علي : اختلف في معنى شعائر الله على أقوال ، منها لا تحلوا حرمان الله ولا تتعدوا حدوده ، وحملوا الشعائر على المعالم ، أي معالم حدود الله وأمره ونهيه وفرائضه ، ومنها أن شعائر الله مناسك الحج ، لا تحلوا مناسك الحج فتضيّعوها ، ومنها أن شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها. ثم حكى قول الفراء : كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من الشعائر ، ولا يطوفون بينهما ، فنهاهم الله عن ذلك ، ثم قال : وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ، ومنها لا تحلوا ما حرّم الله عليكم في إحرامكم ، ومنها أن الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرام نهاهم الله تعالى أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام إلى غير ذلك ، ثم قال بعد استيفاء الأقوال : وأقواها الأوّل ."

وعند استقصاء كلمات أهل اللغة فخلص إلى أنّ الشعائر تصدق في كل ما جعلَ علماً لطاعة الله تعالى ومظهراً لقوّة الإسلام وأهله ، وكلّ ما صار شعاراً عُرف به أهل الدّين ، فشعائر الحج المصطلحة تعدّ من أقوى الدلائل على قوة الدّين وشدّة تعظيم أمر الله تعالى وأهم سبل إلفات النظر إلى الدّين ، فالحج من مصاديق شعائر الإسلام الجليّة ، ومن هذا المنطلق فإنّ الشعائر هي معالم الدّين التي تضمّ فرائضه وأمره ونهيه.. وكلّ ما من شأنه أن يتّصف بهذه الصّفات فهو مصداقٌ لشعائر الله تعالى.

ومعلومٌ أنّ الدّين هو مجموع الأحكام الواصلة إلينا بالطّريقين المعصومين المعبرَ عنهما بالتّقنين ، أمّا الأوّل فهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والثّابت وصوره إلينا بالتّواتر القطعي.. والثاني هو سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين ثبتت إمامتهم عقلاً ونقلاً ووجب طاعتهم واتباعهم.

وأَيِّ مَعْلَمٍ ديني يشكّل ظاهرة في الإسلام يُؤسّس من هذين الطريقتين فهو شعار ديني مقدّس، يجب حفظه والذبّ عنه، ويصدق ذلك في جملة الأحكام المعلومة التي أصبحت سمّة المسلم وعلامة إسلامه، وخصوصاً تلك التي تؤكّد جانب المظهر والإستعراض والشّعار وتعكس قوّة الوجود، كالشهادتين مثلاً، فهي تنمّ عن أصول الدّين وفروعه بشكل مجمل، ومجموع تلك المظاهر تسمّى "شعائر".

ولمّا أن كان التشيع ومذهب أهل البيت عليهم السلام هو فكر الإسلام الأصيل من غير زيادة أو نقصان فقد إتسم بمظاهر وشعارات خاصّة هي شعائر الإسلام أصلاً، إلّا أنّه نُسبت إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام تمييزاً لها عن سائر أطراف أهل الإسلام ومدارس الفكر الإسلامي الذين ارتضوا غير أهل البيت عليهم السلام حجّة في الدّين، وقدّموا الصّحابة على القرابة، ورفضوا النّص الصحيح الصّريح الجلي في آل محمّد عليهم السلام، ولم يلتزموا بشعائر أهل البيت عليهم السلام مع أنّها دينٌ يدان به، علماً أنّ كثيراً منها ثابتٌ في مصادر أهل السنّة والجماعة متواتراً عن النبي صلى الله عليه وآله الأسوة القدوة، غير أنّهم أهملوها لا لحجّة إلّا لكونها السّمّة والمظهر والشّعار لشيعّة أهل البيت الأبرار عليهم السلام الذين وفقهم الله تعالى لرفعه في حين زهد الآخرون فيه.

وبينما قد منّ الله سبحانه على شيعة أهل البيت عليهم السلام بحمل هذه الأمانة وشرح صدرهم لرفع هذا الشّعار فإنّ في بعض المنتسبين للتشيع من سلبه الله تعالى توفيق قبوله، وفات هؤلاء أنّ من أهمّ شعارات المذهب الحقّ الشّهادة الثالثة لأمر المؤمنين عليهم السلام بالولاية وقد زهد فيها بعض من يسعى لماشاة أهل الخلاف. والذي يراه عامّة الفقهاء أنّ الشّهادة الثالثة قد احتلّت منزلة الشّعار من

المذهب ، وصارت سمة للشّيعَة الإمامية في كلّ زمان ومكان ورمز ولائهم وسرّ قوتهم ، وبالتالي فإنّها لازمة وإن لم تكن جزءاً واجباً في الأذان ، أقول هذا بغضّ النظر عن ورودها في الأثر.

ويخطر ببالي رواية مهمّة أرغب في تثبيتها منقولة عن كتابٍ قديم لا يزال مخطوطاً في المكتبة الظاهرية بدمشق إسمه " السُّلَافَة في أمر الخِلافَة " وهو من تأليف الشيخ عبد الله المراغي ، أحد أعلام علماء السُّنة في القرن السابع الهجري ، وفيه روايتان ، مضمون الأولى : أنّه أدّن سلمان الفارسي رحمته الله فرجع الصّحابة لرسول الله صلّى الله عليه وآله أنه زاد في الأذان " أشهد أن علياً ولي الله " فجبهم النبي صلّى الله عليه وآله بالتوبيخ والتأنيب ، وأقرّ لسلمان هذه الزيادة.

ومضمون الثانية : أنهم سمعوا أبا ذر الغفاري بعد بيعة الغدير يهتف في الأذان بالشّهادة لأمير المؤمنين عليه السلام ، فرفعوا ذلك إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال لهم : أما وعيتم خطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية !! أما سمعتم قولي في أبي ذر : " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذر الغفاري " إنكم لمنقلبون بعدي على أعقابكم^(١).

لقد فات بعضُ دُعاة التّقريب هؤلاء أنّهم يزهدون شيئاً شيئاً فيما شيّده الأئمة الطّاهرون عليهم السلام بدمائهم وكابدوا الأمرين في تثبيته وتأسيسه ، وأنّهم تاجروا في

(١) راجع كتاب سياسة الحسين عليه السلام للمرحوم الشيخ عبد العظيم الرّبيعي الذي نقل هذا المضمون عن كتاب السُّلَافَة ، وقرأ ما كتبه العلامة المحقق السيّد عبد الرزاق المقرم رحمته الله حول الشّهادة الثالثة في كتابه " سر الإيمان " ، وقد ألفت في الآونة الأخيرة كُتبٌ مستقلة في الشّهادة الثالثة.

أغلى وأعظم البضائع الربانية وبخسوها حقها، ولعل الأقل سوءاً في هؤلاء الذي يخفت ولا يجهر بها ! وأحسن منه الذي يعلنها في الإقامة ويكتمها في الأذان !! وقد رضي هؤلاء أن يكونوا الطرف المتنازل عن عقائده وشعائره في سبيل أهواء زائفة أو حطام دنيا زائلة !! فثبتنا الله تعالى على القول الثابت.

وكيف كان، فإن الشهادة الثالثة من أهم شعائر شيعة أهل البيت عليهم السلام جنباً إلى جنب الشعائر الحسينية التي أسس النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مبادئها وأوروا وقدتها وسعوا إلى خلودها وكان سعيهم مشكوراً وعملهم مقبولاً نامياً، فتمكنت من نفوس الشيعة بشكل معجز، ونقلها الأولون للآخرين.

ولم تخلُ بعض مظاهرها من نقد هؤلاء وغيرهم أيضاً، وقد تعرض المؤلفون والمخالفون لمظاهر الولاء في أيام عاشوراء، بسمى التقديرة، والتصحيح والتنزيه تارة أخرى، وكانت مساعي بعضهم محق الشعار الذي ضمن الله سبحانه وتعالى بقاءه وخلوده، حيث قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

ففي كامل الزيارات بالإسناد إلى قدامة بن زائدة عن أبيه قال: قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري، ويشد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى.

فقلت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرّجين بدمائهم مرمّلين بالعراء مسلبين لا يكفّنون ولا يُوارون، ولا يُعرّج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الدّيلم والخزّر!!

فقلت: لا يجزَعَنَّك ما ترى، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذا الأمة لا تعرفهم فراغنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المنفردة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة "وينصبون لهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرُس أثره ولا يعفور رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميّسه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علواً".

ثمّ اقتصت عليه عليه السلام خبر العهد المعهود وخبر أمّ أيمن رضي الله عنها إلى أن بلغت إلى إخبار جبرئيل عليه السلام بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وقوله للنبي صلى الله عليه وآله: "ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة فيوارون أجسامهم ويقىمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علما لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة من كل سماء، مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلّون عليه ويسبّحون الله عنده، ويستغفرون الله لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرتهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: "هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء" فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نورٌ تغشى منه الأبصار، يدلّ عليهم ويعرفون به.

وكأنني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل ، وعليّ أماننا ومعنا من ملائكة الله ما لا يُحصى عدده ، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده ، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله جلّ وعز ، وسيجد أناس ممن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يُعفوا رسم ذلك القبر ويمحو أثره ، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً .

قال زائدة : ثم قال علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث : خذه إليك ، أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً^(١) .

إنّ الشعائر الحسينية أقوى من تحدى المبطلين ومسايعهم الخرقاء ، لأنّ أساسها الإسلام القوي المتين المنصور بقدرة ربّ العالمين ، وقد دعى جلّ شأنه إلى النفر لأهل البيت عليهم السلام والتمسك بحجزتهم والدعوة إليهم ، فقال تعالى : ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . فإنّ أبينا نصرهم إستبدلنا الله تعالى بأقوامٍ غيرنا ، والله غنيّ عن العالمين ، أو عذبنا عذاباً أليماً وهو القادر على ذلك ، وأيّ عذابٍ أشدّ من العذاب الذي تشهده الأمة اليوم بعد تفرّقها وفشلها واختلافها وذهاب ريحها ، وقد استحققت ذلك بتخلّفها عن شعائر دينها !! ولو أنّها إلّ التزمت بها وبما ترمي إليه من أصول الدّين لسادت الأرض وحالفها النصر وما ردّت لها راية .

ومما يثير الدهشة أن يتخلّف بعض بني الإسلام عن رفع شعار الإمام الحسين

(١) راجع كامل الزيارات ص (٢٦٥) ، وبحار الأنوار (١٨٣/٤٥) ، وقد أوردنا شيئاً قليلاً من الخبر .

عليه السلام بينما يرفعه الوثنيون وأبعد الناس عن الإسلام، ولقد رفع الزعيم الهندي المهاتمة غاندي الإمام الحسين عليه السلام شعاراً إذ قال: "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر" .. فقل لي: أين غاندي من الإمام الحسين عليه السلام؟! وأين الهندوسية من الإسلام؟! وهل هذا هو الدرس الذي فهمه فاستطاع به إحكام قبضته على قلوب الملايين من الشعب الهندي!؟

وأقول جازماً أنه لم يكن ليحقق كل هذا النجاح لولا تأثره بالإمام الحسين عليه السلام وتمكّنه من أعماقه ووجدانه، الأمر الذي غضّ المسلمون عنه طرفهم فاستعبدتهم عدوّهم وصارت أمجادهم مجرد ماضٍ ولّى في غابر الزمن.

كان غاندي حراً في فكره فانتصر، لا يحدّ ثقافته دينٌ عن حكمة، ولا تصدّ نظره عقدة عن حقيقة، وقد كتبوا في سيرته أنه كان يخصّص وقتاً من يومه للتدبّر في القرآن الكريم، فهو يستوحي تعاليمه ويسترشد من أدبه، وهذا أمر يفرضه التأثير بروح سيّد الشهداء عليه السلام على آية حال.

وراح شاعر النصارى بولس سلامة يدوّي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ضمن ملحمة الكبرى التي بلغت ثلاثة آلاف بيت سمّاها "عيد الغدير" وفيها يتغنّى بمجد بطل الإنسانية أبي الحسين أمير المؤمنين عليه السلام.

ويقول الكاتب المسيحي انطون بارا: "الثورة التي فجرها الحسين بن علي عليه السلام في أعماق الصدور المؤمنة والضمائر الحرة هي حكاية الحرية المؤوودة بسكين الظلم في كل زمان ومكان وجد بها حاكم ظالم غشوم، لا يقيم وزناً لحرية إنسان، ولا يصون عهداً لقضية بشرية، وهي قضية الأحرار تحت أي لواء

انضوا، وخلف أيّ عقيدة ساروا" (١).

كيف وصل صوت الإمام الحسين عليه السلام إلى هؤلاء الأحرار فانضوا تحت رايته، وواجهوا نور برهانه بحريّة فهداهم إلى سرّ من أسرار نصره وهيمته، وساقهم إلى الخير! وكيف لم تحجزهم إنتماءاتهم عن إعلان إعجابهم بعطائه وجوده! إنني لا أشك لحظة في أن بلوغ هؤلاء ذلك الصّوت المقدّس لم يكن إلّا بفضل الشعائر الحسينية.

ونحن نرى كلّ ملة ونحلة تستعرض طقوسها وشعائرها الدنيّة لتُسمع البشريّة فكرتها ومقالتها، فاليهود لهم مظاهرهم الخاصّة التي تنقل وسائل الإعلام بعضاً منها، والنصارى لهم طقوسهم التي يُعرفون بها، وهذا صليبيهم في كل مكان يعكس وجودهم ورؤيتهم الدنيّة، وكذا الحال بالنسبة إلى سائر الأديان الأخرى والمذاهب والتكتلات، فإنّ لكلّ منها طابع ولون خاص، وللمسلمين ما يميّزهم عموماً في شعاراتهم.. ولشيعة أهل البيت عليهم السلام كذلك شعائرتهم الخاصّة المغروسة في أعماق وجدانهم، والتي إتسموا بها وصارت سمة لهم يعرفون بها.

والخبير يدري أنّ لكلّ أمة طقوساً تنكرها الأمم الأخرى، بل واعتادت بعض الأمم على طقوس تثير استغراب الأمم الأخرى وتحرك اشمئزازها، بل وتعدّ في بعض الأحيان نوعاً من الجنون والسّفه، ومثيرات العجب كامنة في خصوصيات كلّ أمة أو حضارة، فهي مقتضيات كلّ بيئة وشؤونها، كما أن الأمم تختلف

(١) راجع الحسين في الفكر المسيحي للكاتب المسيحي انطون بارا ص ٢١ الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ الكويت.

كذلك في اللغة واللباس وسائر مظاهر الحياة، وتُقاس قوّة طقوسها بحسب قوّة إيمانها بقضيتها، ويكون حرصها على الشّعار بقدر تعبّتها النفسية وصلة الطقوس بوجدانها الدّيني.

ونستطيع أن نجزم أنّه لا مثيل للشعائر الحسينية في الملل والنحل الأخرى من جميع الحيثيات والأبعاد، فقد أحكم الدّين تأسيسها وأرجع أمرها - كما دلّت التّصوص - إلى عموم الحزن والبكاء والإبكاء، ولم يحبس الأئمة الطّاهرون عليهم السّلام إظهار الأحزان في شاكلة معيّنة خاصّة، بل أطلقوا عليهم السّلام عنان الحزن بحسب البيئة والطّبيعة في نصوص عامّة، فلكلّ أمة أن تعبّر عن حزنها بما تألف وتعرف وتعتاد، ولكلّ بيئة أن تبكي وتبكي بأسلوبها المألوف عندها، وليس لنا أن نستنكر ذلك عليها ما دامت تعبّر عن حزنها بطريقتها الإنسانيّة مواساة لأهل البيت عليهم السّلام.

وعلى هذا فإنّها في كلّ الأحوال مشيّدَةٌ لأصل الإسلام ومباني دعوته، وقد أرسى أهل البيت عليهم السّلام قواعدَها امتشاقاً لحسام الرّفّض وإنكار المنكر، وتشبيهاً للحبّ والأمر بالمعروف، وشحذاً للنفوس الطّافحة بالولاء العلوي، وتجديداً للبيعة بالولاء والطّاعة لأولى الأمر عليهم السّلام الذين فرّض الله سبحانه طاعتهم، واستعداداً للبدل في نصرتهم، وتعباً لأنفس بالانتظار لفرج آل محمد عليهم السّلام.

ولم يجعلوا عليهم السّلام عذراً لأحد في التخلّف عنها تحت أيّ ظرف كان، وعدّوا التخلّف عن ركب الشعائر الحسينيّة جفاءً لا مبرّر له، ولم يسقطوها في أحلك الظروف وأعصبها، لأنّها تمثّل الخيط الباقي للإسلام بعد استحكام قبضة الجور، وبها تُحفظ معالم التوحيد والنبوّة والإمامة، فأجمع أهل العلم على وجوب رفع هذا الشّعار وإحياء الشعائر الحسينيّة على كلّ مؤمن، واعتبروا إحياءها في أحلك

الظروف واجبا عينياً وفي بعض الأحيان كفائياً.

إنّ النصوص الصادرة في أشدّ الظروف وأعنفها على الأئمة عليهم السلام تدعو إلى إظهار الشعار الديني، رغم ما فعله العباسيون من القتل والفتك والإبادة.. إلاّ أنهم عليهم السلام شدّدوا على تشييدها وإحيائها.. روى الشيخ المفيد رحمه الله في المزار عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهم السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس، صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

ليُذكر الإمام عليهم السلام بوجوب التمسك بالمظاهر الخاصّة التي صارت سمة يُعرف بها أتباع أهل البيت عليهم السلام، يعرفون بها في طقوسهم وعباداتهم مهما كانت صعوبة الظروف، ويؤكد من بينها على زيارة جدّه الإمام الحسين عليهم السلام في يوم الأربعين مهما كانت العوائق، ليعلم الشيعة أنّ الإسلام النبوي والتشيع العلوي ولدا يوم سقوط الإمام الحسين عليهم السلام في كربلاء، وبسقوطه ارتفعت راية الإسلام تزينها الولاية مطرّزة بدماء الشهادة!! فلا مناص من الزيارة ولو على الخوف، ولا بدّ من الوقوف على تربته الطاهرة مهما كلف الأمر!!

ولقد حمل الشيعة هذا اللواء في حلّوهم ومُرهم ورخائهم وشدّتهم، في كلّ زمان ومكان، حتّى أمكننا الجزم أكيداً وبعد اتّصال العالم البشري إعلامياً أنّه لم

(١) راجع كتاب المزار، باب فضل زيارة الأربعين ص (٥٣)، وتهذيب الأحكام (٥٢/٦)، ووسائل الشيعة (٥٨/٤) و (٨١/٥) و (٤٧٨/١٤)، وبحار الأنوار (٢٩٢/٧٩) و (٧٦/٨٢) و (٣٤٨/٩٥) و (١٠٦/٩٨) و (٣٢٩)، وإقبال الأعمال ص (٥٨٩)، وروضة الواعظين (١٩٥/١)، وعوالي اللآلي (٣/٤).

يبقَ أحدٌ لم يبلغه الإسلام والولاية وصوت الإمام الحسين عليه السلام ، ولم يبق مستضعف يحتجّ على الله تعالى فيقول أنّه لم يسمع باسم الإمام الحسين عليه السلام .. ولم يعرف من هو عليه السلام ؟ هذا بفضل تأكيد هذه الشعائر المقدّسة ، وتشديد الدّعوة إلى الله سبحانه عن طريق نشر ظلامه وليّه الإمام بالحق عليه السلام .

الشيعة الإمامية ويوم عاشوراء

كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من شهر محرّم الحرام من سنة ٦١ هـ ، في الشهر الذي كان أهل الجاهليّة يجرّمون فيه القتال ، فهتّك بنو أمية حرمة الشّهر وحرمة النبوة وحرمة الإمامة ، وتعدّوا حدودَ الله تعالى بقتل سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام فصار شهرُهم وغمٌ إلى يوم القيامة !!

روى الشيخ الصدوق رحمته الله بإسناده إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال : " إن المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يجرّمون فيه القتال ، فاستحلّت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسبّي فيه ذرارينا ونساؤنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم تُرع لرسول الله حرمة في أمرنا .

إن يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، وأورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام ^(١) .

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٢٨) ، وبحار الأنوار (٢٨٣/٤٤) ، ووسائل الشيعة (٥٠٥/١٤) ، وإقبال الأعمال ص (٥٤٤) ، وروضة الواعظين (١٦٩/١) ، ومناقب ابن شهر آشوب (٨٦/٤) .

ومنذ ذلك الحين وطقوس الحزن وشعائر العزاء الحسينية في نماء وتطور، تزيد حرارتها ولا تنقص أبداً، وتجدد ذكرها في كل مناسبة أو ذكرى، وتشتد حرارة الأحزان مع تجدد شهر المحرم ويوم عاشوراء من كل عام جديد!!
كذّب الموتُ فالحسينُ مُخلدٌ كلما أُخْلِقَ الزمانُ تجددُ

ويجدد الشيعة هذا الشعر بكلّ عشق ومودة دون سأم أو كلل أو ملل، فمعرفة الإمام الحسين عليه السلام مكتومة في بواطنهم، ولم يحفظ حرمة النبي صلى الله عليه وآله في آله عليه السلام غيرهم، فزادهم الله تعالى شرفاً وعزاً، وربما مرّ كثير من المسلمين على يوم عاشوراء مرور الكرام، ولا يهتزّ لبعضهم جفن لأحزان العترة النبوية، في اليوم الذي بكت فيه السماء والأرض!!

ومن دواعي الأسف أن يشاكل بعض المسلمين في أفعالهم أفعال النواصب عن علم أو جهل، فبعضهم يؤخّرون أفراحهم وأعراسهم حتى حلول يوم العاشر للتبرك به، والبعض يعلنون صيامه ويدعون إلى الإفطار الجماعي إحياءً لسنن بني أمية في هذا اليوم، فقد صام أعداء الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء شكراً لله تعالى، وأهون المسلمين حالاً الذين لا يعبأون بحلول يوم العاشر أو ذهابه أصلاً، فحياتهم ومعائشهم على وضعها المعتاد، وإذاعات الدول الإسلامية وقنواتهم وسائر الفضائيات تبثّ الغناء والطرب وبرامج الترفيه كما هو حالها في سائر الأيام، والأحرى أن تبثّ فيه القرآن الكريم تفاعلاً مع أحزان النبي صلى الله عليه وآله في هذا اليوم الحزين إذا لم تبثّ قصة المقتل.

والحق أن كثيراً من أهل السنة والجماعة يحزنون في هذا اليوم ويرتادون مجالس سيّد الشهداء عليه السلام مواساةً لنبئهم صلى الله عليه وآله ويشركون الشيعة شعائرهم،

وهو أمرٌ أدركوا حُسْنَه بوجدانهم وفطرتهم، ولا زلنا نراهم في مجالس بلدنا وسائر دول الخليج العربي والعراق التي تفتح أبوابها للجميع.

والمفترض أنّ الحزن على الإمام الحسين عليه السلام هو سمة جميع أهل الإسلام في يوم مقتله، فهو شهيد الإسلام والتوحيد والقرآن والنبوة، والحزن هو أقل ما يمكن فعله في هذا اليوم مواساةً للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام قربةً إلى الله تعالى، ناهيك عن الوظائف والسُنن الواردة في الأثر عن العترة الطاهرة في خصوص يوم عاشوراء.

وظائف الشيعة يوم عاشوراء

يوم عاشوراء بالنسبة إلى الشيعة يومٌ استثنائي جداً، يخرجون فيه عن سيرتهم المعتادة، ويتبدّل حالهم إلى حال آخر، وتظهر عليهم سمات الحزن سريعاً، وتتوزّع أدوارهم بشكل منظم ومنسجم، فهم أشبه بخلية النحل في أوج نشاطها، فيتبادلون مظاهر العزاء تلقائياً، وينشغلون في إعداد المآتم والمواكب، ويتفرغ بعضهم لإعداد الطعام لعامة طلاب البركة.

فهم في حركة دؤوبة ومستمرّة، وتستهو بهم زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدّسة أو العكوف في المآتم الحسينية.. شاب الكبير على هذه السيرة وشبّ عليها الصغير، وهم على استعداد لسكب الدّموع متى تحين فرصة ذكر المقتل، الذي يُعدّ استماعه جوهر الوظائف في يوم عاشوراء عند الشيعة، فينتشرون في المآتم والحسينيات والمساجد لتجديد الذكرى وإجراء الدّموع، وتمتلاً المآتم وبعض البيوت - التي تصبح مآتماً - بالمعزين، فيوم عاشوراء هو ربيع المآتم الحسينية.

ولست أهدف في هذا العنوان إلى تصنيف وظائف الشيعة بحسب وقوعها.. ولكن الهدف هو تصنيفها بحسب صدورها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في نطاق سيرتهم وأقوالهم، فأفعال الشيعة مشجبة تفيض على البيان، وأفاض التاريخ القريب والبعيد في هذا القصد، ومقصودنا بيان ما صدر من أهل البيت عليهم السلام من الأوامر في يوم عاشوراء، وما عيّنوه لشيعتهم من الوظائف في هذا اليوم، بغض النظر عن الشعائر الحسينية والمظاهر التي أضيفت إليها بحسب التصوص العامة.

١. تلاوة المقتل الحسيني :

إنّ تلاوة المقتل الحسيني وسيرة الإمام الحسين عليه السلام وأحداث يوم عاشوراء في هذا اليوم من أهمّ الوظائف التي لقّنها الأئمة عليهم السلام شيعتهم، وكذلك الإستماع إلى المقتل مع الحزن والبكاء والتفجّع والتدبّة والجزع، وقد وردت هذه المضامين في أكثر من خبر.

منها ما رواه الشيخ في المصباح بسنده إلى صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: من زار الحسين بن علي عليه السلام في يوم عاشوراء من المحرم.. إلى أن قال: ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه، ويقوم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه^(١).

٢. تبادل التعازي :

ومن الوظائف الواردة تعزية الشيعة بعضهم بعضاً عند اللقاء يوم عاشوراء،

(١) راجع مصباح المتهدد ص (٧٧٢)، وكامل الزيارات ص (١٧٥)، وبحار الأنوار (٢٩٠/٩٨)، ووسائل الشيعة (٥٠/١٤)، ومستدرک الوسائل (٣١٥/١٠)، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

بقولهم: "أعظم الله أجورنا بمصاب الحسين، أو بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام".

وورد في ما رواه الشيخ في المصباح بسنده إلى صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: ولِعَزَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمَصَابِهِمُ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام.. قلت: فكيف يعزّي بعضنا بعضاً؟ قال: تقولون "أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام"^(١).

٣. الحزن والبكاء:

ورد في أكثر من خبر عنهم عليهم السلام ما يؤكد أنّ الحزن والبكاء من أهم وظائف الشيعة في هذا اليوم، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده إلى علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبتته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرت بنا في الجنان عينه^(٢).

٤. التشبه بأصحاب المصائب:

ومن الوظائف الواردة في هذا اليوم هو الكون على هيئة أصحاب المصائب، الذين شغلته المصيبة عن تحسين هندامهم ومظهرهم، وعادة ما يكون صاحب

(١) راجع مصباح المنتهجد ص (٧٧٢)، وكامل الزيارات ص (١٧٥)، وبحار الأنوار (٢٩٠/٩٨)،

ووسائل الشيعة (٥٠/١٤)، ومستدرک الوسائل (٣١٥/١٠)، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

(٢) راجع عيون أخبار الرضا (٢٩٩/١)، وعلل الشرائع (٢٢٧/١)، وروضة الواعظين

(١٦٩/١)، وأمالي الصدوق ص (١٢٩)، وإقبال الأعمال ص (٥٧٨)، وبحار الأنوار

(٢٨٤/٤٤) و (٣٤٤/٩٥) و (١٠٢/٩٨)، ووسائل الشيعة (٥٠/١٤).

المصيبة كاشف الذّراعين، ومحلّل الأزرار.

ورَوَى الشيخ رحمته في المصباح بسنده إلى عبد الله بن سنان قال: دخلتُ على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء فألقيته كاسفَ اللون ظاهرَ الحزن، ودموعُه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط.. وقال فيما قال: يا عبد الله بن سنان، إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتسلّب، قال: وما التسلب؟ قال: تحلّل أزرارك، وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصائب^(١).

كما يمكن أن نستفيد من الأخبار الواردة في باب آداب التعزية في سياق التعزية بمصاب الإمام الحسين عليه السلام، وفيها أنّه ينبغي لصاحب العزاء أن يُلقي رداءه ويكتفي بالقميص حتّى يُعرف فيُعزّي، كما في علل الشرايع بسنده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي لصاحب المصيبة أن لا يلبس الرداء، وأن يكون في قميصٍ حتّى يُعرف، وينبغي لجيرانه أن يُطعموا عنه ثلاثة أيام^(٢).

وهي سيرة مطّردة في أهل البيت عليهم السلام، فقد فعل النبي صلى الله عليه وآله ذلك في جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه حيث ألقى رداءه وتبعه محتفياً، وفعل الإمام الصادق عليه السلام ذات الفعل عند موت ولده إسماعيل رضي الله عنه، وأيّ مصيبة أعظم من مصيبة إمامنا الحسين عليه السلام، وأيّ رزء في الإسلام أعظم من رزئه، وأيّ شخصيّة أعزّ على القلوب من شخصيّته!! فهي الأجدر بالحزن والجزع بكلّ المعايير والمقاييس،

(١) راجع مصباح المتهجد ص (٧٨٢)، وبحار الأنوار (٣٠٣/٩٨)، ووسائل الشيعة (٩/٨)، ومستدرک الوسائل (٦/٢٨٠).

(٢) راجع علل الشرائع (٣٠٧/١)، وبحار الأنوار (٧١/٧٩).

وينبغي إظهار غاية الجزع في هذا اليوم الذي رُوي فيه رسول الله ﷺ يُبدي قمة الحزن والجزع.

٥. ترك السعي في الحوائج:

ومن الوظائف التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في هذا اليوم ترك المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء وأشباه ذلك، وعدم الخروج والسعي في الحوائج، وعدم إدخال حاجات البيت فيه، فإنه يوم نحس.

وروى الشيخ في المصباح الخبر الصحيح بسنده إلى صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا تُقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك ولم يرَ فيها رشداً، ولا يدخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً، فمن ادخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادخره ولم يبارك له في أهله^(١).

وروي في أمالي الصدوق بسنده إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد (لعنه الله)

(١) راجع مصباح المتعجب ص (٧٧٢)، وكامل الزيارات ص (١٧٥)، وبحار الأنوار (٢٩٠/٩٨)، ووسائل الشيعة (٥٠/١٤)، ومستدرک الوسائل (٣١٥/١٠)، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

إلى أسفل درك من النار^(١).

٦. زيارة الحسين عليه السلام عن قرب أو بُعد:

ويُستحبّ في يوم عاشوراء زيارة سيّد الشهداء عليه السلام استحباباً مؤكّداً، سواء كان عن قرب أو بُعد، وخصوصاً السّلام عليه بالزيارة المأثورة المخصوصة في يوم عاشوراء، فقد ورد ذلك في نصوص كثيرة صحيحة.

منها ما روي في كامل الزيارات بسنده إلى حرّيز عن أبي عبد الله عليه السلام: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وجبت له الجنة^(٢).

وفيه عنهم عليهم السلام: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كمن تشحّط بدمه بين يديه^(٣).

وفيه بسنده إلى زيد الشحام عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان غفر الله له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر، ومن زاره يوم عرفة كتب الله له ثواب ألف حجّة متقبّلة وألف عمرة مبرورة، ومن زاره يوم عاشوراء فكأنما زار الله فوق عرشه^(٤).

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٢٩)، وبحار الأنوار (٢٨٤/٤٤) و (٣٤٤/٩٥) و (١٠٢/٩٨)، وإقبال الأعمال ص (٥٧٨)، وروضة الواعظين (١٧٠/١)، وعلل الشرائع (٢٢٧/١)، وعيون أخبار الرضا (٢٩٩/١)، والمناقب (٨٦/٤).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٧٤)، كتاب المزار ص (٥٢)، مصباح المتهجد ص (٧٧٢).

(٣) راجع كامل الزيارات ص (١٧٤)، بحار الأنوار (١٠٥/٩٨)، ومستدرک الوسائل (٢٩٢/١٠).

(٤) وفي بعض النسخ: (في عرشه)، راجع كامل الزيارات ص (١٧٤) و (١٨٢)، ووسائل الشيعة (٤٦٩/١٤)، ومستدرک الوسائل (٢٩٢/١٠)، وبحار الأنوار (٩٣/٩٨) و (١٠٥)، والفقرة

وفيه مسنداً إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرم حتى يظل عنده باكياً لقي الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة ، وألفي ألف عمرة ، وألفي ألف غزوة ، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأئمة الراشدين (صلوات الله عليهم أجمعين).

قال الراوي : جعلت فداك ، فما لمن كان في بعد البلاد وأقاصيها ولم يمكنه المسير إليه في ذلك اليوم ؟

قال : إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعّد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسّلام واجتهد على قاتله بالدعاء ، وصلى بعده ركعتين ، يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال ، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه ، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه ، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت ، وليعزّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عز وجل جميع هذا الثواب^(١).

٧. سقي الماء :

ومن وظائف الشيعة الجليلة يومَ عاشوراء سقي الماء للعطاشى باسم الإمام الحسين عليه السلام فهو مستحبٌّ في نفسه ، وقد دلّت رواية على استحبابه عند قبره

→ الأخيرة من الحديث تجدها في مسار الشيعة للشيخ المفيد ص (٤٤).

(١) راجع مصباح المتجهد ص (٧٧٢) ، وكامل الزيارات ص (١٧٥) ، وبحار الأنوار

(٢٩٠/٩٨) ، ووسائل الشيعة (١٤ / ٥٠) ، ومستدرك الوسائل (١٠ / ٣١٥) ، والبلد

الأمين ص (٢٦٩).

الشريف ومشهده المنيف ، خصوصاً إذا ما ضمّنا مناسبة شهادته عطشاً وكان الشارب زواره والمعزين والباكين عليه ، فإنه من أعظم القربات إلى الله تعالى .
فقد روي في كامل الزيارات عن محمد بن أبي يسار - أو سيّار - المدائني بإسناده قال : من سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسين عليه السلام كان كمن سقى عسكر الحسين عليه السلام وشهد معه^(١) .

٨. إطعام المعزين :

ومن وظائف الشيعة الجليلة يوم عاشوراء إطعام المعزين المنشغلين بالعزاء والمأتم باسم الإمام الحسين عليه السلام ، وتهيأة ما يقوِّبهم في أداء وظائفهم في هذا اليوم ، وإتاحة فرصة التبرك بسفرة سيّد الشهداء عليه السلام أمام الجميع ، سواء الأغنياء أو الفقراء .

أمّا في عموم الإطعام فقد روي في أمالي الطوسي بإسناد إلى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما مات جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس وتأتيها ونساؤها ثلاثة أيام ، فجزت بذلك السنة ، أن يصنع الطعام لأهل الميت ثلاثة أيام^(٢) .

وأمّا في خصوص الإطعام في عزاء ومأتم الإمام الحسين عليه السلام فروي في المحاسن بإسناد إلى عمر بن علي بن الحسين ، قال : لما قتل الحسين بن علي (صلوات الله عليه) لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح ، وكُنّ لا يشتكين من

(١) كامل الزيارات ص (١٧٤) ، بحار الأنوار (١٠٥/٩٨) .

(٢) راجع أمالي الطوسي ص (٦٥٩) ، والكافي (٢١٧/٣) ، وبحار الأنوار (٥٤/٢١) و (٨٢/٧٩) و (٨٣) ، ووسائل الشيعة (٢٣٦/٣) ، ووسائل الشيعة (٣٦٤/٢٤) ، والمحاسن (٤١٩/٢) .

حرّ ولا برد، وكان علي بن الحسين يعمل لهن الطعام للمأتم^(١).

٩. لعن قاتله :

ومن أعظم الوظائف والقربات إلى الله تعالى في يوم عاشوراء الإبتهال إلى الله بلعن قاتله والمعين على قتله ومن رضي بفعلهم إلى يوم القيامة، والبراءة منهم ومن جريمتهم الكبرى، ونصوص الزيارة المأثورة في خصوص يوم عاشوراء تكاد تطفح بذلك، ويعلم من ذلك أهميّة اللعن في هذا اليوم.

رُوي في عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناد إلى الريّان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال: يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أنه لما قتل جدي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر، يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً، يا ابن شبيب، إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام، يا ابن شبيب، إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين^(٢).

وفي أمالي الصدوق بإسناد إلى داود بن كثير الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلمّا شربه رأيتُه وقد استعبر واغرورقت عيناه

(١) راجع المحاسن (٤٢٠/٢)، وبحار الأنوار (١٨٨/٤٥) و (٨٤/٧٩)، ووسائل الشيعة (٢٣/٣).

(٢) راجع عيون أخبار الرضا (٢٩٩/١)، وبحار الأنوار (٢٨٥/٤٤) و (٢٩٩) و (١٠٢/٩٨)، ووسائل الشيعة (٤١٧/١٤) و (٥٠٢)، وإقبال الأعمال ص (٥٤٤) وقد اختصرنا الخبر.

بدموعه، ثم قال: يا داود، لعن الله قاتل الحسين، فما أنغص ذكر الحسين للعيش، إني ما شربت ماءً بارداً إلا وذكرت الحسين، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مئة ألف حسنة، ومحا عنه مئة ألف سيئة، ورفع له مئة ألف درجة، وكان كأنما أعتق مئة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه^(١).

١٠. الإمساك عن الطعام والشراب:

من المستحبات الأكيدة الإمساك عن الطعام والشراب في يوم عاشوراء، ثم الإجتزاء بطعام أصحاب المصائب والعزاء دون اللذيذ من الأطعمة، ويختلف هذا الإمساك عن الصوم المروي عند أهل السنة كل الاختلاف، لأن الإمساك عندنا - وإن عبّر عنه بالصوم - فهو تشبّه بأهل العزاء والمصائب، وأما الصوم المروي عندهم فأصله أمويّ محض، ومنشأه التبرك بيوم مقتل الإمام عليه السلام شكراً لله تعالى على ظفر الأمويين به، ونصوصهم متهافنة متناقضة فيه، وقد عاجنا أحاديثهم ورددناها في بحث مستقل أسميناه " لا تصوموا عاشوراء " فراجع.

واشتهر بين أصحابنا بلا خلاف صوم يوم عاشوراء على وجه الحزن، كما في جواهر الكلام ورياض المسائل، وفي الغنية دعوى الإجماع عليه، وبه صرح المحقق في الاعتبار والشرائع، وكذلك العلامة في المنتهى والإرشاد تبعاً لشيخ الطائفة

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٤٢)، والكافي (٣٩١/٦)، ووسائل الشيعة (٢٧٢/٢٥)، وبحار الأنوار (٣٠٣/٤٤) و (٤٦٤/٦٣)، وروضه الواعظين (١٧٠/١)، كامل الزيارات ص (١٠٦)، والمناقب (٨٧/٤). وفي لفظ كامل الزيارات: " وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد ".

في التهذيب ، جمعاً بين النصوص الآمرة لصومه والنصوص الناهية عنه .
وقد ناقش بعض المتأخرين في هذا الجمع ، إذ لا شاهد ولا قرينة ترشد إليه ،
والنصوص الآمرة والناهية تأبى الحمل على ذلك أصلاً ، فلا يمكن المصير إلى قول
المشهور من استحباب صيامه حزناً ، بل لا بدّ من القول باستحباب صومه أو القول
بالنهي عنه ولو على الكراهة !!

وكيف كان ، فإنّ صومه تبركاً يستلزم الخروج من الدين ، وأمّا صيامه
لخصوصية اليوم فإنّ أخباره موهونة بموافقتها التواصب والأمويين وإن كان فيها
المعتبر من جهة السند ، فلا بدّ من حملها على التقيّة ، ويكفيها وهنا خلوّ الكافي
منها وإعراض الشيخ الكليني رحمته عنها مع أهميّة الموضوع ، واكتفائه رحمته بنقل
أخبار النهي عن صومه شاهد على ما نرّمى إليه ، وكذلك الشيخ الصدوق رحمته
فإنّه أعرض عن ذكرها في الفقيه ، وهو يكشف عن إعراض قدماء أصحابنا عنها
وهذا كاف في سقوطها عن الاعتبار .

وأما صومه لا على وجه الخصوصية بما أنّه يوم من أيام السنّة فمشهور أنّه لا
مانع منه ، لعموم ما دلّ على استحباب الصّوم في نفسه بلا معارض .

وقد ذهب العلامة المحدث الشيخ يوسف البحراني رحمته إلى حرمة الصوم في
يوم عاشوراء مطلقاً ، كصوم يومي العيدين ، موافقةً للنصوص الناهية ، وقد ذهب
إلى أن ضعف سندها منجبر بعمل الأصحاب ، واحتجّ باقتصار الكليني رحمته
والصدوق رحمته على هذه الأخبار دون الأخبار الآمرة به ، ثم استظهر عمل
الأصحاب برواية المصباح الناهية عن صومه .

ثمّ أتمّ البحراني رحمته استدلاله قائلاً : قال في جامع المقاصد : صومه ليس

صوماً معتبراً شرعاً، بل هو إمساك بدون نية الصوم، لأنّ صومه متروك كما وردت الرواية، فيستحب الإمساك فيه إلى بعد العصر حزناً، وصومه شعار بني أمية سروراً بقتل الحسين عليه السلام.

وذهب صاحب المسالك إلى أنّ صومه ليس صوماً معتبراً شرعاً، بل هو إمساك بدون نية الصوم، لأنّ صومه متروك كما وردت به الرواية، ومعنى قول الصادق " صمه من غير تبييت، وافطره من غير تشميت، وليكن فطرك بعد العصر " هو ترك المفطرات انشغالاً بالحزن والمصيبة.

وروي في الإستبصار بالإسناد إلى نجية بن الحارث العطار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان والمتروك بدعة. قال نجية: فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك من بعد أبيه؟ فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال: أما إنه صيام يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين عليه السلام.

وجاء في وسائل الشيعة، حيث سأل عبيد بن زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: من صامه كان حظّه من صيام ذلك اليوم حظّ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال: النار، أعادنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار.

وقد ذهب الآية السيّد الخوئي رحمته الله إلى كراهة صيام يوم عاشوراء، وصرّح بذلك في كتاب الصوم في قوله: " المكروه منه: بمعنى قلة الثواب ففي مواضع أيضاً منها صوم عاشوراء ".

وقد صدر الأمر من الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأصحابه في يوم عاشوراء

بالإمساك عن الطعام والشّراب إلى وقت العصر دون تبييت نية الصيام كما تقدّم
مواساة لعطش العترة عليهم السلام في يوم أحزانهم وآلامهم، ففي مصباح المتهدّد بسند
إلى عبد الله بن سنان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه
تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: مم بكاءك؟

فقال: أ في غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم!

فقلت: ما قولك في صومه؟

فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم
صوم كاملا، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنه في
مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

إنّ هذه جملة من الواجبات والوظائف الشخصية التي سنحت في الخاطر
بموارد صدورها عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، وهي التي لا تسقط عن شيعتهم
ومحبّتهم في كلّ الأحوال، وهي الثّوابات المختصرة التي غرسها أئمتنا عليهم السلام
لإرساء شجرة الشّعائر الحسينية الكبرى التي تأخذ طابع الوظيفة الجماعية العامة،
وتعتمد على وظائف الأفراد مجتمعين، وتعدّ في بعض الظروف من الواجبات
الكفائية التي لا تسقط مهما كلف الأمر.

وقد أرسى أئمة أهل البيت عليهم السلام شجرة الشّعائر الحسينية بالنصوص الكافية
والحجج الشافية، ونسج الشّيعية الأبرار على منوال أئمتهم عليهم السلام بفقّه نوراني،

(١) راجع بحار الأنوار (٦٣/٤٥ و ٣٠٣/٩٨ و ٣٠٩)، ووسائل الشّيعية (٤٥٨/١٠)، والمستدرک

(٤٢٤/٧ و ٥٢٥)، والإقبال ص (٥٦٨)، ومصباح المتهدّد ص (٧٨٢).

وفهموا الدرس الذي جاهد الأئمة عليهم السلام من أجل إيصاله وكابدوا الشدة والعناء ،
وأدركوا العمومات الواردة في النصوص فهمَ الفقيه العارف ، وأجادوا نشر
الدرس بكل إتقان ومسؤولية.

نعم ، لقد فقه الشيعة عموم دلالة " من بكى أو أبكى " وعموم دلالة " الجزع "
فابتكروا ما يواكبون فيه عصرهم وبيئتهم من مظاهر الحزن والبكاء والجزع ،
فأحسنوا نشر ظلامه أهل البيت عليهم السلام وإحياء أمرهم بجميع سبل الدعاية المتاحة
التي تليق بقضيتهم ، وكان الله تعالى وراء ذلك.

الإنهزامية تجاه استهزاء المبطلين

الإلتزام بوظائف الحزن على مستوى الأفراد والإحتفاظ بالشعائر الحسينية
على مستوى الجماعة إنما يقومان على مدى التدبّر الذي عليه الفرد والمجتمع ،
ويزداد التمسك بالشعار حسب قوّة التدبّر ، ويتلازم التدبّر مع قوّة الشخصية
وصلابة الموقف ، فيحتفظ المؤمنون الأقوياء بالشعارات الدينية ويبدلون من أجلها
الغالي والرّخيص ، وهم أبعد ما يكونون عن الإنهزامية والتردد في رفع الشعار !!
أمّا الإستحياء في تجسيد الشعائر الحسينية فهو كاشف عن ضعف الدّين
والإنهزام في النفوس ، وكأنّ ضحك واستهزاء العدوّ مناط شرعيّ في معرفة
صحة وفساد الأعمال أو العقائد !! وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه رضي الله عنهم أكثر
الناس صموداً أمام سخرية أعدائه المبطلين الذين لجأوا إلى هذا السلاح الضعيف
بعد عجزهم عن مواجهة النبي صلى الله عليه وآله في دعوته مواجهة علمية ، وبعد أن اجتاح
باطلهم بشعائر دينه الجديد ومظاهر عبادته !!

ألم يسخر اليهود من أذان المسلمين! ألم يضحكوا من صوت بلال وقالوا أنه غراب ينقع! ألم يسخر الكفار من السجود فقالوا: "كيف ندخل في دين يأمرنا أن نرفع أستنا على رأسنا! ألم يستخفوا بكل المظاهر والمراسم الإسلامية! ولم يجد المبطلون على مرور الأيام ذريعة للطعن في الحق إلا الاستهزاء والضحك، وهذا السلاح هو مطية الضعفاء في كل زمان ومكان، ولم يكن الشيعة بعيدين عن طنين هؤلاء، لكنهم بعناية الله تعالى استطاعوا أن يواجهوا كيد هؤلاء الضعفاء بالعض بالنواجذ على هذه الشعائر الحسينية حتى تمكنوا من إيصالها لأجيالهم وتعاقبوا على حمل الشعار بإيمان وقوة وشدة.

إن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام الذين لم يؤثر فيهم الحديد والنار والسجن والقتل أصلب وأقوى من أن يتأثروا بصيحات المستهزئين أو الفقاعات البراقة المؤقتة أو الكلمات المزبجة أو العقول التائهة، وهم واعون للدعايات التي يطلقها هؤلاء بغرض الوقوف في وجه التيار الحسيني الهادر، وأثبتت الأيام والليالي خيبة مساعي هؤلاء مهما اجتهدوا في إطفاء وهج شمس الإمام الحسين عليه السلام.

وسياتي دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الإمام الحسين عليه السلام: "اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الحدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله عليه السلام"^(١).

وروى السيد ابن طاووس رحمته الله في فرحة الغري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "يا

(١) راجع بحار الأنوار (٨/٩٨)، ووسائل الشيعة (٤١١/١٤)، ومستدرک الوسائل (٢٣١/١٠).

علي.. من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود عليه السلام على بناء بيت المقدس ، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه ، أبشر وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوّاركم كما تعير الزانية بزناها ، أولئك شرارُ أمّتي لا نالتهم شفاعتي ولا يردون حوضي" ^(١).

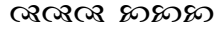
وما قيمة المستهزئين أنفسهم حتى يعير لهم العقلاء اهتماماً ، ولو كان لهؤلاء قيمة لعرفوا وجه الحق ، واتبعوا أهل البيت عليهم السلام ودانوا بالولاية لهم ، وليس من العقل ولا الحكمة أن يتأثر العاقل من كلمة من يتربّص به ، فشأن أعداء الشعائر الحسينية أن يشجّعوا التوافه ويضحكوا من العظائم ، فهم يهزأون بنقاط القوة التي تنطوي عليها الشعائر كي يزهّدون أهل الحق فيها فيبقون ضعفاء لا قوّة لهم ، فيتخلّون شيئاً فشيئاً عن مكنن قوتهم وسرّ نصرهم.

لقد اختار الله تعالى أقواماً لا يتخاذلون لحمل هذه الأمانة العظمى ، وسيبقون ما مشت ظلالهم على الأرض يحفّون إسم الإمام الحسين عليه السلام ويبدلون النّفس والنفيس فداءً للإبقاء على هذه الشعائر ، ولقد بشرت عقيلة الطالبيين زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام بشيعة الإمام الحسين عليه السلام الصّامدين لما رأت جزع الإمام زين العابدين عليه السلام حينما مرّ على جسد أبيه الإمام الحسين عليه السلام فأحزنه ما رأى ،

(١) راجع فرحة الغري ص (٧٧)، وتهذيب الأحكام (٢٢/٦ و ١٠٧)، ووسائل الشيعة (٣٨٣/١٤)، ومستدرک الوسائل (٢١٥/١٠)، وإرشاد القلوب (٤٤١/٢)، والصراط المستقيم (٢٠٩/١)، وكتاب المزار ص (٢٢).

فقلت له :

" لا يجزئكَ ما ترى ، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذا الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات ، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة ، وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والآيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه ، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علواً" (١).



(١) راجع كامل الزيارات ص (٢٦٥) ، وبحار الأنوار (١٨٣/٤٥).

